المنطقة تنفجر، والمشروع الأمريكي يتراجع: استراتيجية الاستنزاف العربية تظهر فعاليتها من جديد .2-2

18-6-2003

وأمام المفكرين والحركات والعلماء في هذه الدول التي لا تخوض مواجهة مسلحة مع الأمريكان والصهاينة، وتتعامل مع أنظمتها السياسية،استحقاقات ومسؤوليات تتمثل في توجيه وقيادة الحراك العام، وبناء استراتيجية وفق الحالة الداخلية في كل دولة تتناول دورهم في دعم ومناصرة المجاهدين في دول المواجهة،

بقلم **محمد سليمان**

الحراك الثقافي الاجتماعي:

في مقابل عمليات المقاومة المسلّحة في فلسطين والعراق، استعاد التيار الجهادي الإسلامي فعاليته في عدد كبير من الدول العربية والإسلامية وقام بعمليات متفرقة خاصة في السعودية والمغرب، وقد شغلت أحداث السعودية الرأي الإسلامي العام؛ وذلك لحدوث مواجهات وانقسام داخل التيار السلفي صاحبه بروز واضح لقيادات فكرية للتيار الجهادي.

ولا يجوز قراءة حوادث التفجيرات التي تلت حرب العراق خارج سياق الحراك الثقافي والاجتماعي في العالم العربي والإسلامي، والذي يحتاج المفكرون والمثقفون إلى رصده وتحليله، ومحاولة التعامل مع مخرجاته المتعددة: فالحرب المعنوية والشعور بهزيمة الكرامة والإرادة التي نالت من الحالة النفسية لأغلب الشعوب العربية، في حرب العراق الأخيرة، وبالتحديد مع ما يمكن اعتباره السقوط المذل للعاصمة العراقية بفعل الخيانات والفساد، تؤدي كلها إلى حراك اجتماعي في العالم العربي في أبعاد متعددة، أحد روافده الشباب المتحمس الذي يشعر بأنّ الإهانة والعار قد لحقه من هذه الهزيمة، ومن السكوت العربي العام أمام مجازر الصهاينة، وسقوط النظام العربي إلى حالة بائسة أمام المشروع الأمريكي، وشعوره بأنّه مطالب بالعمل، إلاّ أنّه في ظل غياب آليات العمل المدني السلمي وتحت ضغط وضربات الأجهزة الأمنية، ومحاصرة هامش الحرية الضعيف أصلاً في العالم العربي، فإنّ هذا الشباب سيتجه حتماً إلى العمل السري، والعسكري لمواجهة استفزاز الكرامة والدين الذي يعيشه صباح مساء.

إنّ الظروف العامة التي تمر بها الشعوب العربية، داخليا وخارجيا تجعل من كل من يحاول أن يصفع الأمريكان بطلاً، وإن اختلفوا معه في كثير

من أفكاره، والشباب المتحمس يحمل هذه الحالة العامة، ويحاول أن يعبر عنها من خلال هذه العمليات، والمشكلة هنا تبدو في الملاحظات التالية:

- أنّ هذه العمليات تعبر عن نفس قصير في رؤية الصراع، كما أنها ذات بعد أحادي في تصور المواجهة بأنها عسكرية محضة، بينما الوجه العسكري هو أحد وجوه هذا الصراع وقد لا يكون أخطرها، في حين أنّ الطرف المقابل المتمثل بالولايات المتحدة والكيان الصهيوني يعمل وفق رؤية استراتيجية بعيدة المدى، وينطلق من تفكير متعدد يدرك ويخطط لكافة أبعاد الصراع السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية.

- أنّ هذه العمليات تنقل الصراع إلى داخل الدول العربية، وتخلق حالة أمنية تعطي المبررات والمشروعية لضرب الحركات الإسلامية ومحاصرتها، وتزيد من الضغوط الأمريكية على هذه الأنظمة، مع توافر غطاء إعلامي طاغي يصور هذه الحركات وكأنها مجموعة من مصاصي الدماء والإرهابيين، الذين يستمتعون بالقتل ولا يفرقون بين كبير وصغير.

- أنّ هذه العمليات تدفع باتجاه مواجهات غير متوازية وغير عادلة مع قوة دولية وأجهزة داخلية تتمتع بكافة آليات المواجهة والحسم ضد مجموعات متفرقة من الشباب الذين يفتقدون أساسيات المواجهة، سوى أرواحهم ومستقبلهم، الذي يضعونه على الحافة في سبيل تحقيق مثاليتهم السياسية المفرطة في التغافل عن العوامل الموضوعية التي تتحكم في سير النزاع واتجاهاته. وبالتالي ما يحدث في الحقيقة هو استنزاف لطاقات الأمة والشعوب من خلال الاعتماد على عنصر الحماس ومبدأ التضحية، وهو الطريق السريع في المواجهة، ولكنه أبداً لن يؤدي في حالته الراهنة إلى التمكين الموعود.

من هنا يرفض أغلب العلماء والمفكرين هذه العمليات، خاصة بما تؤدي إليه من إزهاق أرواح المدنيين والأبرياء وهي "مفسدة عظمى"، كما أن المفاسد السياسية المترتبة عليها أكبر من المصالح المرجوة. إلاّ إنه وفي ذات الوقت الذي يرفض فيه المفكرون والعلماء هذه العمليات، ويصدرون البيانات التي تستنكرها؛ فإنّ واجبهم لا يقف عند حدود هذه البيانات، بل يجب البيان وبكافة الوسائل أنّ الحل الأمني هو حل غير سليم، وأنه يزيد الأمور تعقيداً، ولا بد من بناء رؤية واضحة إعلامية وثقافية تقوم على أنّ هذه العمليات ليست مرتبطة بجماعات هنا أو هناك، وإنّما بمحاولة التعبير عن شعور عام يسيطر على الأمة كلها، وأنّ هذه العمليات ما هي إلاّ مخرجات لعوامل موضوعية داخلية وخارجية تؤدي اليها، لابد من التعامل معها ابتداءً قبل التركيز على العامل الأمني:

ومن هذه العوامل: غياب الحريات السياسية في العالم العربي، ضآلة -إن لم يكن- انعدام هامش التعبير والعمل المدني السلمي، الفساد السياسي والإداري، العجز المذل الرسمي أمام المشروع الأمريكي-الصهيوني، الاحتلال الأمريكي للعراق والصهيوني لفلسطين،..الخ.

في المحصلة فإنّ هذه العمليات العسكرية، سواء اتفقنا أم اختلفنا معها، تعبر عن الحراك الثقافي والاجتماعي العام في العالم العربي والإسلامي، والذي يبدو بوضوح أنه رافض للهيمنة الأمريكية والصهيونية، وأنه يبحث عن طريق الخروج من هذه الحالة، وعن الطريق الذي يستعيد فيها كرامته المهدورة، وبالتالي فإنّ حرب الاستنزاف العربية التي تخاض الآن في العراق وفي فلسطين، تجد سندها المادي والمعنوي في الشعوب العربية والإسلامية الملتهبة، وكلما زادت هذه المقاومة واشتدت، كلما سرّع ذلك من عوامل النهوض والتغيير لدى الشعوب العربية والإسلامية.

وأمام المفكرين والحركات والدعاة والعلماء في هذه الدول التي لا تخوض مواجهة مسلحة مع الأمريكان والصهاينة، وتتعامل مع أنظمتها السياسية - بعيداً عن تعريفنا لشرعية هذه الأنظمة- استحقاقات ومسؤوليات تتمثل في توجيه وقيادة الحراك العام، وبناء استراتيجية وفق الحالة الداخلية في كل دولة تتناول دورهم في دعم ومناصرة المجاهدين في دول المواجهة، كجزء من رفع الحالة المعنوية للشعوب العربية، ومحاصرة المشروع الأمريكي، الذي يعتمد نجاحه في المنطقة بشكل كبير على نجاحه في فلسطين والعراق، كما أنّ عليهم مسؤولية تحديد أجندتهم في القضايا الداخلية وفي إدارة الصراع السياسي الداخلي والتعامل مع الشباب المتحمس واحتضانهم من خلال التمييز لهم بين ميادين الكفاح المسلح و ميادين الكفاح السياسي والثقافي والاجتماعي والذي لا يقل خطورة وأهمية عن الكفاح المسلّح في هذه الدول.

للعودة للأعلى